

الموصل من خلال كتاب نهاية الأرب للنويري دراسة تحليلية

م. د. محمد نزار الدباغ*

المقدمة

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على النصوص التي تناولت مدينة الموصل من خلال كتاب (نهاية الأرب في فنون الأدب) لأحمد بن عبد الوهاب النويري (ت: ٧٣٣ هـ / ١٣٣٣ م)، وتناولها ضمن منهج تحليلي وصفي قائم على استقراء النصوص التي جاء فيها ذكر مدينة الموصل. وتنبع أهمية البحث من انفراد النويري ببعض النصوص التي تتعلق بمدينة الموصل مما لم يرد في المصادر التاريخية والبلدانية وحتى الأدبية منها، وخصوصاً في الفترات الزمنية المتأخرة التي ورد فيها ذكر الموصل، كما تعود أهمية البحث إلى أن كتاب النويري يمثل أحد أهم الكتب الموسوعية التي ضمت بين ثناياها معلومات متنوعة عن جميع الجوانب التي تتعلق بالمدن العربية الإسلامية من جانب سياسي وإداري وعسكري، اجتماعي وديني وعلمي، جانب اقتصادي وعمراني وجغرافي... الخ ومنها مدينة الموصل التي جاءت الأخبار عنها مرتبطة بخمسة جوانب فقط مما ورد في كتاب نهاية الأرب للنويري مما سيأتي ذكره في هذا البحث.

قسمت الدراسة إلى أربعة مباحث، تناول المبحث الأول التعريف بالنويري من ذكر اسمه ونسبه وشيء من سيرته العلمية والمناصب التي تقلدها، مع التعريف برحلاته وأهم مؤلفاته ولعل أهمها كتابه نهاية الأرب الذي عولنا عليه في هذه الدراسة. أما المبحث الثاني فقد عالج الجانب السياسي والإداري المتعلق بمدينة الموصل والذي يتعلق أغلبه بملك الموصل من قبل الخلفاء العباسيين أو بعض أمراء الإمارات الإسلامية كالحمدانيين والاتابكة وكذلك ذكر بعض ولاة الموصل ممن تولوا المدينة أو عزلوا عنها. في حين أن المبحث الثالث تطرق إلى الجانب العسكري والذي ارتبط بالحملة العسكرية و تسيير الجيوش إلى الموصل من أجل ضمها إلى الدولة العباسية خصوصاً أنها كانت مطمع من قبل حركات الخوارج التي انتشرت في الجزيرة والموصل أو مسير بعض الخلفاء العباسيين إليها لغرض الإقامة فيها لمدة من الزمن. على أن المبحث الرابع قد ضم الجانب الجغرافي والديني والاجتماعي المتعلق بمدينة الموصل من ذكر موقعها ضمن الإقليم الرابع من المعمور من الأرض، وذكر خبر

* مدرس، قسم الدراسات الادبية والتوثيق، مركز دراسات الموصل.

جرجيس ذلك الرجل الصالح الذي أراد نشر رسالة التوحيد إذ يتردد ذكر هذه الرواية وخبرها في العديد من المصادر التاريخية والبلدانية فضلا عن ذكر اليعاقبة في الموصل وهي إحدى الطوائف الدينية المسيحية التي ينتشر أتباعها في المناطق الشرقية من المدينة، وذكر أخبار بعض العلماء من أهل المدينة كإبراهيم الموصللي.

اعتمدت الدراسة على جملة من المصادر التي غطت الكلام عن حياة النويري من كتب التراجم والطبقات ولعل أهمها على سبيل المثال لا الحصر (الطالع الصعيد الجامع لإعلام الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد) للدفوي، و(النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) ابن تغري بردي، (تاريخ ابن الوردي) لابن الوردي، و(البداية والنهاية) لابن كثير إذ قدمت هذه المصادر وغيرها معلومات ذات أهمية في التعريف باسم النويري ونسبه وحياته مع التعريف بأهم الوظائف التي عمل بها فضلا عن الكلام عن كتابه.

ولم تظهر دراسة مستقلة تناولت كتاب النويري منهجا وأسلوبا ومواردا إلا الدراسة القيمة التي كتبتها أمينة محمد جمال الدين والتي جاءت تحت عنوان (النويري وكتابه نهاية الأرب في فنون الأدب مصادره الأدبية وآراءه النقدية) حيث أفادت البحث في التعريف بأهمية كتاب النويري في ضوء الدراسات المعاصرة، فضلا عن التعريف برحلات النويري التي زار فيها زيادة على مصر، بلاد الشام إذ شملت أسفاره العديد من المدن في مصر وبلاد الشام منها القاهرة ودمشق وطرابلس الشام والكرك (في الأردن حاليا).

وقد قدمت بعض الدراسات المنشورة على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) معلومات ذات أهمية في بيان مخطوطات الكتاب والتعريف بها فضلا عن الكلام عن عصر النويري وما شهده من نهضة علمية على مستوى التأليف الموسوعي والاهتمام بجوانب العلوم المختلفة في مصر على وجه الخصوص زيادة على بيان مكانة علم التأريخ من خلال كتاب النويري مما نجده مجسدا في الباب الخامس من كتابه والذي انفرد فيه عن معاصريه من مؤرخي مصر المملوكية كمعاصره محمد بن إبراهيم الكتبي المعروف بالوطواط في كتابه (مباهج الفكر ومناهج العبر) ومن هذه المواقع الالكترونية موقع الموسوعة الحرة (ويكبيديا)، وموقع دهشة، فضلا عن موقع اتحاد الكتاب العرب-سوريا وغيرها.

وقد عمد الباحث إلى الاستعانة بأحدث الدراسات التي وصلته حديثا من سوريا من اجل تعزيز القيمة العلمية للبحث وهو كتاب (التاريخ العربي والمؤرخون دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام) في جزئه الثالث لشاكر مصطفى، ويتقدم الباحث بشكره إلى الدكتور صفوان طه

حسن من قسم التاريخ / كلية التربية / جامعة الموصل ، الذي تفضل مشكوراً بتزويده بنسخة من هذا الكتاب القيم ، إذ افرد المؤلف محورا كبيرا من كتابه في التعريف بكتاب النويري وأقسامه وأجزائه ومواقع مخطوطاته وطبعات الكتاب وبيان القيمة التاريخية للكتاب ومؤلفه موازنة مع معاصريه من مؤرخي مصر في العصر المملوكي.

المبحث الأول : النويري ، حياته وعصره ومؤلفاته أولا : اسمه وكنيته ونسبه

هو شهاب الدين بن احمد بن عبد الوهاب بن احمد^(١) بن عبد الكريم بن عبادة البكري إذ يرتفع نسبه إلى الخليفة الراشدي أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)^(٢) القرشي التيمي^(٣) النويري^(٤) القاهري^(٥) الشافعي الكندي^(٦) ، القوصي المولد والمنشأ^(٧) ، وكنيته أبو العباس^(٨) ونعت بالشهاب النويري^(٩) وعرف بين المؤرخين بشهاب الدين النويري^(١٠) وانفرد كحالة بتسميته بأحمد النويري^(١١).

ثانيا : حياته ونشأته

ولد النويري في صعيد مصر ، ببلدة اخميم في سنة (٦٧٧ هـ / ١٢٧٩ م)^(١٢) ، وتربى ونشأ بقوص في بيئة ريفية وسط مزارع قصب السكر^(١٣) ، ولسنا نعلم بالتحديد كم أقام النويري بقوص ؟ ومتى غادرها ؟ وهل غادر الصعيد للإقامة بالقاهرة مباشرة ، أم انه أقام في مكان آخر من الديار المصرية بالطبع قبل أن ينتقل إلى القاهرة ؟ والواقع أننا لا نستطيع الإجابة على أي سؤال من هذه الأسئلة إجابة مباشرة واضحة ذلك إن هذه الفترة من حياة النويري يكتنفها الغموض. إلا أننا نعلم يقينا أن آخر تاريخ ذكر النويري انه كان فيه في مدينة قوص هو سنة (٦٩٧ هـ / ١٢٩٩ م) عندما شاهد أنياب الأفيال الكبيرة التي كان يتاجر بها ضمن تجارة العاج^(١٤). ويمسك النويري عن أن يزودنا بشيء عن المرحلة الأولى من حياته غير انه يبدو مما ذكره الادفوي في كتابه (الطالع السعيد) أن النويري نشأ وتربى في الصعيد الذي عرف في ذلك الوقت بقوص والذي كان حينذاك يزخر بحركة علمية وثقافية هائلة^(١٥) ومما يؤكد ذلك ما نجده من أسماء الشيوخ الذين اخذ عنهم النويري في مرحلة نشأته المبكرة والذين ذكرهم الادفوي بقوله عن النويري " سمع الحديث على الشريف موسى بنعلي بن أبي طالب ، وعلى يعقوب بن احمد بن الصابوني ، واحمد النجار ، وزينب بنت منجى ، وقاضي القضاة أبي عبدالله محمد بن إبراهيم بن جماعة وغيرهم^(١٦) .

ثالثا : مهنة ووظائفه

امتنه النويري وتقلب في أكثر من مهنة ووظيفة فقد عمل في البدأ بمهن بسيطة كانت تدر عليه قدرا معقولا من المال تكفيه لعيشه فقد عمل أولا في نسخ الكتب فكان يبيع النسخة من صحيح البخاري بألف درهم^(١٧) وكان ينسخ في اليوم ثلاث كراريس^(١٨) فضلا عن امتهانه لحرفة الخط ، فقد

امتاز بخطه المتقن حتى أن ابن تغري بردي ذكر انه "كتب الخط المنسوب"^(١٩) وكان قد عمل بحرفة تجليد الكتب حتى انه نسخ وجلد ثمانية نسخ من صحيح الإمام البخاري حسب ما ذكر ابن كثير^(٢٠) ولا نعلم على وجه التحديد أين عمل النويري بهذه المهن إلا أن الباحث يرجح انه امتهنها في القاهرة عند قدومه إليها قبل أن يلتحق بخدمة سلطان مصر ، وهذه المهن بأجمالها أهله فيما بعد إلى كتابة مصنفه الشهير نهاية الأرب.

ثم نجد إن النويري أتاحت له فرصة العمل بوظائف أخرى بعضها إدارية وأخرى في ديوان الرسائل وأخرى عسكرية ، بعد اتصاله بالسلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون إذ نال عنده حظوة سيما وان والد النويري كان من كبار موظفي الديوان المملوكي ، فوكله السلطان ببعض الأمور المالية والإدارية كالكتابة وبسط الخرائط وأعمال الحسبة والمقاييسات والنظر على الغلات والعلوفات والمبيعات^(٢١) ، وبعد انتقال النويري إلى الشام عمل في الديوان الخاص بدمشق ثم منطقة الأغوار بنواحي الأردن إذ أن النويري لم يكن مقيما بدمشق بصورة دائمة بل كان دائم التنقل في المناطق المجاورة التي كانت تخضع للديوان الخاص بدمشق^(٢٢) ثم ما لبث النويري أن شغل نظارة الجيش في طرابلس وبعد أن عاد إلى مصر أصبح ناظر الديوان في الدقهلية^(٢٣) ولا شك انه كان قد وفر لنفسه بعض بوادر العيش حين قرر أن يتطلع إلى مصير آخر في العلم والأدب وان يتجرد لتأليف كتابه (نهاية الأرب).

رابعاً: أوصافه وأخلاقه وما ذكره المؤرخون والأدباء في حقه

كان النويري حسن الشكل^(٢٤) ذكي الفطرة وفيه مكرمة وأريحية لأولاده وأصحابه ، مداوم على الصوم ، حتى انه صام رمضان سنة وفاته ، وكان مواظبا على قراءة القرآن من بعد صلاة العصر إلى قريب المغرب حسب ما ذكر ذلك الادفوي^(٢٥) وكان لطيف المعاني وينتقي ألفاظه عند مخاطبته للناس^(٢٦) وقد ذكر المؤرخون والأدباء في حقه أوصافا تدل على حال الرجل وما كان يتمتع به من صفات حميدة ، فهو الشيخ الإمام المؤرخ والفقير الفاضل البارع^(٢٧) والأديب والناثر^(٢٨) والعالم البحاث الغزير الاطلاع^(٢٩) له مشاركة جيدة في علوم كثيرة^(٣٠).

خامساً : علاقته بالسلطة المملوكية في مصر والشام

لقد ابتدأت علاقة النويري بالسلطة السياسية في مصر والشام والتي كانت تحكمها الدولة المملوكية فضلا عن الحجاز ممثلة بالسلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون من خلال التحاق النويري بمدرسة الأخير وهي المدرسة الناصرية إذ سكن النويري في احد البيوت الملحقة بالمدرسة ولاحظ أن أموال الوقف تسرق من قبل ناظر الوقف ولا تصرف لمستحقيها من المدرسين والقراء والفقهاء والمعيرين حيث دافع عن حقوق هؤلاء الناس وابلغ السلطان بذلك فكبر في نظره وفي نظر

محبية من الفئات المذكورة آنفا والتي كانت تسكن المدرسة ، ثم ما لبث النويري أن وقع عليه اختيار السلطان لإدارة ديوان الخاص في دمشق وهو الديوان الخاص بإدارة أملاك السلطان ، وربما إن هذه الفترة كانت من أغزر فترات حياته إذ زادت علاقاته الاجتماعية واندماجه بالمجتمع وتنوعت نشاطاته ومشاركته بالأحداث ، ونجد انه في أثناء إقامته بدمشق ومباشرة بعمله كان المغول قد حاصروا دمشق ، واستعد المماليك للدفاع عنها فقرر النويري المشاركة في المعركة ضد المغول ولم تكن تنقصه الشجاعة بعد دعا داعي الجهاد فشارك فيها مرافقا لكبار الأمراء وانتصر المماليك في المعركة وانكسرت شوكتهم فأكسبته الحياة تجارب ومشاهدات من خلال ما أوكل إليه من مهمات جسدها في كتابه (نهاية الأرب)^(٣١).

سادسا : رحلاته

في الواقع كانت للنويري رحلات متتابعة ومتكررة فرضتها عليه طبيعة عمله وتنقله بين بلاد الشام ومصر وغيرها قد انعكست بما فيها من تجارب شخصية ومشاهدات ومعانيات للاماكن والبلدان في كتابه (نهاية الأرب)^(٣٢).

بدأت تنقلات النويري من اخميم موطن ولادته إلى قوص حيث نشأ وترى ولا ريب فهذه التنقلات كانت ضمن منطقة الصعيد فهي لا تعدو مجرد تنقلات بسيطة لا تقارن مع رحلاته الواسعة التي بدأت بانتقاله إلى القاهرة ومكوته بها مدة يدرس ويدرس الفقه بالمدرسة الناصرية ويتقلد الوظائف فيها فكانت القاهرة بمثابة القاعدة له فكان يغادرها لفترات طويلة أو قصيرة ثم لا يلبث أن يعود إليها ، وأشار النويري إلى وجوده بالقاهرة بين سنتي (٦٩٩ - ٧٠٠ هـ / ١٣٠١ - ١٣٠٢ م) ، ثم سافر إلى دمشق لمباشرة إدارة أملاك السلطان في سنة (٧٠١ هـ / ١٣٠٣ م) ، ويبدو انه لم يكن مقيما في دمشق بصورة دائمة بل كان يتنقل في المناطق المجاورة لها ، لذا نجده يتوجه إلى منطقة الأغوار بنواحي الأردن في سنة (٧٠٢ هـ / ١٣٠٤ م) في مهمة تتعلق بعمله ، وقد انتهز النويري فرصة وجوده بدمشق فزار غوطة دمشق التي بعثت في نفسه البهجة والسرور نظرا لأنها كانت ولا زالت متفرج أهل دمشق ومنطقة زيارتهم ، وبقي النويري في دمشق حتى سنة (٧٠٣ هـ / ١٣٠٥ م) ثم توجه إلى القاهرة ومكث فيها إلى سنة (٧٠٩ هـ / ١٣١١ م) ، ثم توجه إلى الكرك في الأردن ملتحقا بركب السلطان الناصري ، وانتقل بعدها إلى طرابلس الغرب حسب طبيعة عمله في سنة (٧١٠ هـ / ١٣١٢ م) ، ولا نعرف على وجه التحديد موعد ترك النويري لطرابلس الشام غير انه أشار إشارة عابرة إلى انه ترك المدينة في سنة (٧١٢ هـ / ١٣١٤ م) وعاد النويري بعدها إلى القاهرة وبقي يسكن في المدرسة الناصرية زمنا طويلا

حتى سنة (٧٢٩ هـ / ١٣٣٠ م) وربما ظل النويري مقيما بتلك المدرسة إلى أن توفي سنة (٧٣٣ هـ / ١٣٣٤ م)^(٣٣).

ثامنا : مؤلفات النويري

لا ريب إن النويري بعد أن عمل طويلا في الوظائف الديوانية في مصر وبلاد الشام قرر التفرغ للتأليف حين قرر كما قال " أن يمتطي جواد المطالعة ويركض في ميدان المراجعة... وان يجرد منها كتابا يستأنس به ويرجع إليه..."^(٣٤) إذ بدأ العمل على ذلك في سنة (٧١٤ هـ / ١٣١٦ م)، وسماه (نهاية الأرب في فنون الأدب)^(٣٥) ويذكر كرتشكوفسكي أن النويري استغرق وقتا طويلا في تأليف كتابه يصل إلى عشرين عاما^(٣٦) وقد أشار إلى الكتاب أكثر من مؤلف في أكثر من كتاب، فذكر صاحب المنهل الصافي ما نصه "... وألف تاريخنا سماه نهاية الأرب في علم الأدب"^(٣٧) أما ابن كثير فقد أشاد بكتاب النويري حيث قال "... وقد جمع تاريخنا في ثلاثين مجلدا... وذكر أن له كتابا سماه منتهى الأرب في علم الأدب في ثلاثين مجلدا أيضا"^(٣٨) ويبدو أن ابن كثير قد حصل عنده خلط في اسم الكتاب مع تكرار في ذكر عدد المجلدات فمرة يذكره باسم تاريخ دون ذكر اسم الكتاب كاملا ومرة أخرى يذكره باسمه الصريح على انه كتاب أدب وهو الصحيح على انه ربما كان يقصد بالعنوانين كتاباً واحداً. أما الادفوي فذكر أن له تاريخا كبيرا في ثلاثين مجلدا^(٣٩) وهو نفس ما نجده عند ابن كثير على الرغم من أن الادفوي لم يسم كتاب النويري باسمه الصريح. في حين ذكر ابن الوردي أن للنويري تاريخ في ثلاثين مجلدا (٤٠) وهنا لا نجد فرقا عن ما ذكره الادفوي سوى أن ابن الوردي استثنى كلمة "كبير" من عنوان الكتاب. على أن ابن تغري بردي في كتابه النجوم الزاهرة انفرد بذكر عنوان للكتاب مما لا نجده بين كتب المؤرخين والأدباء فقال بالنص: "... صاحب التاريخ المعروف بتاريخ النويري"^(٤١).

أما الاسم الصحيح للكتاب فقد ورد عند حاجي خليفة (نهاية الأرب في فنون الأدب) تاريخ كبير في ثلاثين مجلد، وهنا على الرغم من ذكره لاسم الكتاب الصحيح إلا انه نقل عدد أجزاءه ممن سبقه من المؤرخين^(٤٢) أما المعاصرين فقد بينوا وجهة نظرهم في الكتاب فذكر الزركلي بعد ذكره لاسم الكتاب، انه كتاب كبير جدا وهو أشبه بدائرة معارف لما وصل إليه العلم عند العرب في عصره^(٤٣) ونهاية الأرب في فنون الأدب موسوعة ضخمة تحوي المعارف اللازمة من حيث المبدأ لكاتب ناجح في الديوان، ولكنها جاءت من السعة والتنوع والغزارة بحيث استوعبت معارف عصره كله. وكلمة الأدب التي وردت في العنوان كانت تعني لدى النويري أوسع معانيها وتشمل الأدب المحض من نثر وشعر، والجغرافيا والفلك والقضاء والسياسة والإدارة وحديث الحيوان والأقوام والنباتات كما تعني

إلى ذلك: التاريخ بقضه وقضيضه^(٤٤) وهكذا وضع النويري لموسوعته التي كانت بالنسبة إليه والى كل كاتب (نهاية الأرب) مخططا دقيقا منظما قسم فيه موضوعها إلى خمسة فنون، وقسم كل فن إلى عدة أبواب:

الفن الأول: في السماء والأرض والملائكة والكواكب، وظواهر الطبيعة وتضاريس البحار والأنهر، وطبائع البلاد والسكان والمباني والآثار.

الفن الثاني: في الإنسان وما يتعلق به وفي النساء، وفي أنواع الشعر وال نوادر وخبر القيان والغناء وحديث الملك والسياسة والإمامة والقضاء والحسبة والكتابة وشروطها وعلوم المعاني والبيان...

الفن الثالث: في الحيوان الصامت من ضار وأنيس وطير وسمك وحشرة...

الفن الرابع: في النبات والأثمار والزهر وأنواع الطيب.

الفن الخامس: في التاريخ كله.

وفي الأقسام الأخيرة من الكتاب يضيف أحداثا وأخبارا من رأيه وخبراته ومعلوماته الخاصة وفي هذه الأقسام تظهر إضافاته الجديدة باعتباره شاهدا على العصر وفيها تظهر أصالته^(٤٥).

أما الحديث عن مخطوطات الكتاب فتتوزع مخطوطاته بين مكتبة كوبريللي بإستانبول ذات الأرقام ١١٨٧ و ١١٨٨، ودار الكتب المصرية برقم ٥٤٩ معارف عامة وهي مخطوطة مصورة عن أصل غير معلوم^(٤٦) فضلا عن مخطوطة أيا صوفيا في استانبول ذات الأرقام ٣٥٢٣ و ٣١٠٦ و ٣٥١٤ و ٣٥٢٥ و ٣٥١٦ و ٣٥٢٦ و ٣٥٢٧. ونجد في المكتبة الوطنية بباريس مخطوطة أخرى تحمل الأرقام من ١٥٧٣ إلى ١٥٧٩ ورقم ١٥٨٧ و ١٥٨٨ و ٥٠٥٠^(٤٧). وبدأ نشر الكتاب في القاهرة برعاية احمد زكي باشا منذ سنة ١٩٢٩ وظهر ١٢ مجلدا، وطبع المجلد ١٣ بعد ذلك، ثم تلاه المجلد ٢١ سنة ١٩٧٦، ثم طبع المجلد ٢٢ و ٢٣ فيما بعد ولم يكمل طبع الكتاب كاملا في طبعته الأولى^(٤٨) إلا بعد سنة ٢٠٠٥ فقد طبع كاملا بحلة قشبية وبغلاف فني ملون، وبطبعة محققة تقع في ٣٤ مجلدا مع الفهارس، وقد طبع الكتاب في دار الكتب العلمية في بيروت^(٤٩).

واحتفظ لنا النويري بنظم ونثر حسب ما ذكر ذلك بعض المؤرخين مما لم يسمونه بعنوان صريح^(٥٠) ولا نستبعد هذا الشيء عن النويري وهو الأديب المعروف. فضلا عن كتاب آخر للنويري انفرد بذكره حاجي خليفة يشابه عنوانه عنوان كتابه الشهير نهاية الأرب إلا انه يختلف في مضمونه وموضوعه إذ يتلق بالكلام عن القبائل والعشائر التي سكنت جزيرة العرب ويقع الكتاب في مجلد واحد، قال حاجي خليفة ما نصه: "نهاية الأرب في معرفة انساب العرب وهو مجلد متوسط أوله الحمد لله الذي جعل للعرب ركنا تتهافت عليه سائر الأمم الخ... ألفه لأبي الجود بقر بن راشد أمير

العربان بالبلاد الشرقية والغربية ورتب كل قبيلة على حروف المعجم وجعله على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة...^(٥١).

المبحث الثاني : الجانب السياسي والإداري المتعلق بمدينة الموصل

توزعت النصوص المتعلقة بالجانب السياسي والإداري الخاصة بمدينة الموصل بواقع خمسة عشر نصاً، اثنا عشر نصاً تخص الجانب السياسي، وثلاثة منها تتعلق بالجانب الإداري، وان جاء ذكر الموصل بصورة موجزة أو عابرة أو بصورة ثانوية ضمن سياق الحديث عن الجانب السياسي والإداري، فالنص الأول وهو سياسي ويتعلق بفتح الموصل على يد ربعي بن الأفلح إذ سيره الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ففتح الحصنين، الحصن الشرقي وهو نينوى والحصن الغربي وهو الموصل وكانت معه قبائل تغلب وأياد والنمر وكان الفتح صلحاً^(٥٢). أما النص الثاني وهو (إداري) يتعلق بولاية يحيى بن محمد على الموصل ومقتله بها، إذ ورد ذكر الخبر بأن أهل الموصل كانوا قد امتنعوا عن طاعة الوالي محمد بن صول فطردوه، فما كان من الخليفة أبو العباس السفاح إلا أن بعث أخاه يحيى والياً على الموصل فحاصرها وقتل من أهلها الكثير فثار أهل المدينة عليه فقتلوه^(٥٣) والنص الثالث إداري وهو ذكر الفتنة بالموصل إذ ذكر النويري أن العطاف بن سفيان الأزدي وكان من فرسان أهل الموصل وجمع حوله ٤٠٠٠ رجل وجبى خراج المدينة وكان عامل الموصل محمد بن العباس الهاشمي من قبل الخليفة هارون الرشيد والعطاف غالب على أمر المدينة وجبايته للخراج حتى سار الخليفة هارون الرشيد بنفسه وهدم سور المدينة كعقاب لأهل الموصل بسبب مولاتهم لهذا القائد الخارج عن طاعة الخلافة العباسية^(٥٤).

أما النص الرابع وهو إداري أيضاً فيتعلق بوقوع الفتنة بالموصل وإخراج عامل العباسيين عنها، ونجد في هذا النص أن ذكر الموصل كان قد جاء بصورة رئيسة من ذلك أن الخليفة المعتمد بالله قد استعمل على الموصل استاكين وهو من أكابر قادة الأتراك لدى العباسيين، فأستعمل بدوره ابنه اذكوتكين والياً على الموصل، وكان ابنه سيء السيرة، مصادراً لخراج المدينة مبيحاً لشرب الخمر وإقامة المحظورات والاستيلاء على أملاك الأهالي، وأهل الموصل صابرون، حتى حاول احد جند اذكوتكين أن يخطف امرأة من الموصل، فخلصها رجل يدعى إدريس الحميري، فاشتكى عليه اذكوتكين، فثار أهل الموصل عليه وطردوه من المدينة ولكن الخليفة المعتمد بالله ما لبث أن أرسل الهيثم بن عبدالله بن معمر التغلبي العدوي في جموع كثيرة لحصار أهل المدينة فتصدى له رجل قدمه أهل الموصل وهو يحيى بن سليمان فاستطاع إيقافه، فعاود الخليفة الكره وأرسل إسحاق بن أيوب التغلبي وحمدان بن حمدون التغلبي في عشرين ألف جندي فحاصروا المدينة من جهتها الشمالية

وقتلوا من أهلها وكادوا أن يدخلوا المدينة لولا استغاثة رجل منى أهل الموصل وهو إسحاق بن عبد الواحد فشد من أزر الناس وشحذ الهمم ففشل الحصار على الموصل وبقي يحيى بن سليمان واليا عليها حتى استعمل الخليفة المعتمد بالله واليا صالحا ارتاح له أهل المدينة وهو الخضر بن احمد بن عمر بن الخطاب الموصلية فهدأ من روع الناس واستتب أمر الولاية على المدينة^(٥٥).

وجاء النص الخامس وهو سياسي متعلقا بمسير الخليفة الراضي بالله إلى الموصل من اجل استحصال الأموال التي كان من الواجب على ناصر الدولة بن حمدان أن يدفعها إلى الخليفة باعتباره حاكم الموصل ، فدفع إليه الخليفة نائبه بجكم لقتال ناصر الدولة بن حمدان فالتقى الاثنان على ستة فراسخ (بحدود ٣٦ كم حاليا) من الموصل فانهمز ابن حمدان ووقع الصلح بينهما على أن يدفع الأخير خمسة آلاف درهم للخليفة فأجابه إلى ذلك^(٥٦) في حين إن النص السادس وهو سياسي يتعلق باستيلاء أبو عبد الله البريدي على بغداد وخروج الخليفة المتقي بالله إلى الموصل بعد أن حاصر البريدي بغداد بجيش من الأتراك والديلم فهرب الخليفة وابنه مع عشرين فارسا مصعدين شمالا باتجاه الموصل ، ويبدو أن الموصل في فترة حكم الأتراك والديلم لبغداد كانت الملاذ الآمن للخلفاء العباسيين الذين تميز حكمهم بالضعف آنذ وتحكم الأمراء الأتراك والديلم بأمر بغداد وباقي مدن وارضى الخلافة العباسية^(٥٧).

أما النص السابع وهو سياسي جاء ذكر الموصل فيه عرضا عند قدوم الخليفة العباسي المتقي بالله إلى الموصل بصحبة ناصر الدولة الحمداني ، بعد أن كانت الأوضاع غير مستقره ببغداد إذ نهبت دار الخلافة من قبل البريديين الذين طاردهم الأمير سيف الدولة الحمداني إلى البصرة وأخرجهم عن بغداد^(٥٨) وجاء النص الثامن وهو سياسي متعلقا بمسير الخليفة الراشد بالله إلى الموصل بعد أن دخل السلطان مسعود إلى بغداد وخلع الخليفة الراشد عن الخلافة بعد أن حصل خلاف بين عساكر الخليفة وعساكر السلطان سرعان ما تطور إلى إخراج الخليفة العباسي من بغداد وذهابه إلى الموصل باستضافة بنو حمدان^(٥٩) واتى الحديث عن الموصل بصورة رئيسة عند الكلام عن ذكر الخوارج ببلاد الموصل في النص التاسع وهو سياسي بخروج احد كبار قادة الخوارج بالبوازيج من ارض الموصل (منطقة قرب تكريت) وهو مساور الشاري راغبا في الاستيلاء على الموصل انتقاما لابنه الذي قبضت عليه شرطة الموصل وحبسته بمدينة الحديثة فاجتمع حوله الأعراب والأكراد وغيرهم قاصدين حصار الموصل ، وكان واليها آنذ عقبه بن جعفر بن محمد الأشعث في خلافة الخليفة المعز بالله ففشل حصار المدينة بعد أن عبر رجلا من أهل الموصل نهر دجلة وقتلا مساور الشاري ففشل الخوارج في السيطرة على المدينة^(٦٠).

والنص العاشر وهو سياسي يتعلق بابتداء إمارة أبي الهيجاء عبدالله بن حمدان في الموصل بعد أن استعمله الخليفة المكتفي بالله على الموصل وأعمالها، فتصدى لغارات الأكراد الهذبانية التي طالت نينوى والجانب الشرقي من الموصل على يد مقدمهم محمد بن بلال، فخرج عليهم أبي الهيجاء وطاردهم حتى اعتصموا بجبل قنديل عند الزاب فطلبوا الأمان فأمنهم على أهلهم وأولادهم وأموالهم، ونشر العدل بين الرعية في الموصل وكان محمود السيرة وعاشت للمدينة في عهده بأمان واطمئنان^(٦١) ويأتي ذكر النص الحادي عشر وهو سياسي بمسير معز الدولة البويهى للموصل ودخوله للمدينة وخروج ناصر الدولة الحمداني عنها إلى نصيبين، فأساء معز الدولة معاملة أهل الموصل، وظلمهم وفرض عليهم الضرائب، إلا انه اضطر للخروج منها بعد قيام ثورة من قبل جند خراسان وتوجههم للاستيلاء على جرجان والري، فصالح ناصر الدولة على خمسة آلاف درهم على أن يؤديها إليه، وان يخطب ناصر الدولة لبني بويه في الموصل وبلادها والحال ذاته في بلاد الشام ففعل، وعاد لحكم الموصل^(٦٢) أما النص الثاني عشر وهو سياسي يتعلق بمفارقة إبراهيم ينال حاكم الموصل للمدينة إلى بلاد الجبل (قرب همذان شمال غربي إيران) بعد هجوم البساسيري عليها، والذي لم يمكث فيها طويلا بعد سماعه بمجيء جند السلاجقة إلى الموصل، وفي هذا النص جاء الكلام عن الموصل عرضا عند ذكر خروج حاكمها إبراهيم ينال عنها^(٦٣).

واتى النص الثالث عشر في الكلام عن ملك عماد الدين زنكي لحلب، وهو مؤسس الدولة الاتابكية التي امتدت أراضيها بين أعمال الموصل وأعمال حلب باستثناء دمشق، وجاء الكلام عن الموصل ثانويا عندما أرسل السلطان مسعود لعماد الدين زنكي كتابا بولايته على أعمال الموصل والجزيرة والشام ومن ضمنها حلب^(٦٤) في حين أن النص الرابع عشر وهو سياسي فيتعلق بملك الاتابك نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي للموصل بعد وفاة أخيه قطب الدين، وافر على المدينة ابن أخيه سيف الدين غازي بن قطب الدين، وفور دخول نور الدين للموصل أبطل المكوس، وأمر ببناء الجامع النوري في المدينة وبقي فيها عشرين يوما ثم قفل راجعا إلى الشام بعد أن ضبط أمر المدينة وأطلق بها العمارة والبناء ممثلة بأكبر جوامعها آنئذ وهو الجامع النوري (الجامع الكبير حاليا)^(٦٥) أما النص الخامس عشر والأخير فيحمل طابعا سياسيا أيضا، ويتعلق بخروج زين الدين علي بن بكتكين النائب عن حاكم الموصل قطب الدين مودود إلى اربل (اربييل حاليا) وسلم جميع أراضي وأعمال الموصل من بلاد الهكارية والحميدية وتكريت وحران وسنجار إلى قطب الدين مكتفيا باربل وأعمالها من بلاد شهرزور^(٦٦).

المبحث الثالث : الجانب العسكري المتعلق بالموصل

لقد جاءت أوصاف الجانب العسكري المتعلق بمدينة الموصل من خلال كتاب النويري مجسدة في عشرة نصوص تمتاز بعض منها بكون مدينة الموصل محور الكلام ، في حين أن البعض الآخر يأتي الكلام عن مدينة الموصل عرضياً. أولى هذه النصوص باستعمال الخليفة المأمون لمحمد بن حميد لحرب بابك الخرمي وأمره أن يجعل طريقه على الموصل ليصلح أمرها ويحارب قائد بابك الخرمي وهو زريق بن علي ، فبعد أن آمن على الموصل من خطر زريق التقى به عند الزاب ودارت معركة بينهما انتهت بانتصار محمد بن حميد وانهزام زريق وأصحابه ثم سار محمد بن حميد إلى أذربيجان واستخلف على الموصل محمد بن السيد^(٦٧) أما النص الثاني فيتعلق باستيلاء مؤنس الخادم على الموصل إذ كان له مطمع في المدينة فخرج لحصارها في ثمانمائة فارس وتصدى له داؤد وسعيد ابنا حمدان وابن أخيها ناصر الدولة ابن حمدان في ثلاثين ألف فارس ولكن الغلبة كانت لمؤنس الخادم فدخل مدينة الموصل ونهب أملاك وضياع بني حمدان وبقي مدة في المدينة وخرج منها بعد سماعه بقدوم بني حمدان في عساكر من الجزيرة والشام وبغداد^(٦٨).

في حين جاء النص الثالث مركزاً الكلام حول ما دار بين الوزير ابن مقلة الذي كان يحكم الموصل مدة من الزمن بأمر الخليفة الراضي بالله وبين الأمير ناصر الدولة بن حمدان إذ دار بينهما صراع من أجل السيطرة على المدينة ، ولأمر ما جعل الوزير ابن مقلة يغادر الموصل إلى بغداد وينيب عنه لحكم المدينة علي بن خلف بن طالب وماكرد الديلمي فأستغل ناصر الدولة الحمداني مغادرة الوزير والتقى مع ماكرد الديلمي فهزم في أول نزاع عسكري ، إلا أنه أعاد جمع عساكره وانتصر على ماكرد الديلمي الذي فر إلى بغداد ومعه صديقه علي بن خلف فأتصل ابن حمدان بالخليفة وأقره الأخير على حكم الموصل وما يتبعها من أعمال^(٦٩) على أن النص الرابع يتعلق بمسير الخليفة المتقي لله إلى الموصل بسبب تعسف الأمراء الأتراك واستتشارهم بحكم بغداد وأعمالها وهم كل من الأمير ابن شيرزاد والأمير توزون التركي فألتقى أمير الموصل ناصر الدولة الحمداني بالخليفة وأهله وحاشيته ونقلهم إلى الموصل ، والتقى عند تكريت بالأمير توزون ودارت الحرب بينهما فانتصر توزون واستولى على أملاك الحمدانيين هناك ، وعاد ناصر الدولة الحمداني إلى الموصل وجهاز العساكر من جديد والتقى لحرب توزون ولكنه انكسر في حربه الثانية وكان من نتائج هذه المعركة انهزام ناصر الدولة الحمداني والخليفة المتقي لله إلى نصيبين في بلاد الجزيرة ودخول الأمير توزون إلى الموصل واستيلائه عليها^(٧٠).

أما النص الخامس فجاء متضمناً الكلام عن حصار الخليفة المسترشد للموصل وسبب ذلك أنه بعث برسالة إلى الاتابك عماد الدين زنكي حاكم الموصل معنفاً له بسبب موقفه المناهض للخلافة ،

فما كان من عماد الدين زنكي إلا أن عثف الرسول وحسبه فبلغ ذلك الخليفة المسترشد فجهز جيشا من ثلاثين ألف مقاتل قاصدا الموصل فلما بلغ زنكي الخبر انسحب بجملة من عساكره إلى سنجار ودخل جند الخليفة إلى الموصل وانسحب بالبقية إلى بغداد، وكان زنكي يغير على جند الخليفة ويقطع الميرة عنهم فضاقت الأحوال بهم وانسحبوا من الموصل فعادت المدينة إلى حكم زنكي^(٧١) وجاء النص السادس فقد تركز حول استيلاء مساور الشاري على الموصل نظرا لضعف أمير المدينة وهو عبدالله بن سليمان ولقلة ما عنده من عساكر فدخل المدينة من شمالها قرب الدير الأعلى ونهب دار حاكم المدينة وسيطر عليها نظرا لكثرة أتباعه ولعدم وجود من يصدده^(٧٢).

على حين أن النص السابع يتعلق بانهزام جند هارون الخارجي من قبل عسكر الموصل بقيادة الخليفة المعتضد بالله ذلك أن الخليفة كان قد أوكل إلى نصر القشوري ولاية مدينة الموصل وأمر بجباية أموالها، فحدث أن قام جند هارون الخارجي بالتعرض لجند الموصل فأقتتلوا فقتل من الخوارج احد كبار قادتهم ويدعى جعفر فعظم الأمر على القائم بأمر الخوارج هارون فطلب من أصحابه أن يقوموا بإفساد المدينة وقتل أهلها إلا أن جند الخليفة أوقعوا بالخوارج وفشلت خطتهم في الانتقام من والي الموصل بعد مقتل قائدهم^(٧٣) أما النص الثامن فيأتي ذكر الموصل فيه عابرا من أنها كانت واقعة على طريق السلطان السلجوقي طغرل بك دون أي إضافة تذكر^(٧٤) ويعتبر النص التاسع غاية في الأهمية وهو يتعلق بحصار السلطان صلاح الدين الأيوبي والذي دعاه النويري بالملك الناصر لمدينة الموصل في سنة (٥٨١هـ/١١٨٥م) إذ أطبق الحصار على المدينة وأرسل حاكم الموصل إليه بعض نسائه في طلب الصلح وان يرحل عن المدينة وهو الاتابك عز الدين مسعود الثاني، فرفض السلطان صلاح الدين طلبه ورد نسائه خائبات إلا انه اضطر إلى الانسحاب إلى خلاط لوفاة حليفه شاه أرمن صاحب خلاط بعد أن قامت بعض المناوشات بينه وبين جند الموصل^(٧٥) والحقيقة إن عجز السلطان صلاح الدين عن دخول المدينة لم يأتي بسبب وفاة حليفه فحسب بل لان مدينة الموصل كانت قد أخذت نصيبها من التحصين والقوة بفضل رعاية أمراءها من الاتابكة وعناية نائب قلعة الموصل وهو الأمير مجاهد الدين قايمار الرومي الذي حصن السور وقوى أبراج المدينة وزاد من تحصينها وهذا هو السبب الحقيقي الذي أدى بالسلطان صلاح الدين إلى الانسحاب من الموصل^(٧٦) والنص العاشر والأخير له صلة بالنص التاسع كونه يتعلق بحصار الموصل من قبل السلطان صلاح الدين، إذ أن السلطان صلاح الدين بعد أن ضمن أمر مدن خلاط وميفارقين وضمها إلى أراضيه عاود الكرة لحصار الموصل، وفي أثناء الحصار تم الصلح بينه وبين صاحب الموصل عز الدين مسعود الثاني وفق شروط تمثلت في تنازل صاحب الموصل عن أراضي إقليم شهرزور وغيرها وان تتبع اتابكية الموصل، للدولة الأيوبية اسميا

على أن تبقى تتمتع بالحكم الذاتي ، ويحكمها صاحب الموصل نفسه ، قال النويري ما نصه : "ووقع على أن يسلم للملك الناصر شهرزور وأعمالها وولاية القرايلي وجميع ما وراء الزاب وان يخطب له على منابر بلاده ويضرب له السكة باسمه فتحالفا على ذلك" ^(٧٧).

المبحث الرابع : الجانب الجغرافي والديني والاجتماعي المتعلق بالموصل

لا يوجد بين أيدينا نصوص تمتاز بالكثرة في هذا المبحث قياسا بالمبحثين الثاني والثالث ، فيرد في كتاب (نهاية الأرب) ستة نصوص فقط تتعلق بالموصل ، توزعت إلى ثلاثة نصوص ذات صلة بالجانب الجغرافي ، ونص واحد فقط يتعلق بالجانب الاجتماعي ، ونصين لهما صلة بالجانب الديني. فالنص الأول وهو جغرافي ، يتعلق بذكر الإقليم الرابع من المعمور من الأرض وعدد فيه النويري المدن التي تدخل ضمن هذا الإقليم مع بيان عرض الإقليم بالدرجات والدقائق إذ قال في وصفه للإقليم الرابع ما نصه "وأما الإقليم الرابع فمبدؤه من أرض الصين ويمر على التبت... وبلخ وطخارستان ويمتد إلى الري وقم وهمذان وحلوان وبغداد والموصل وأذربيجان..." ^(٧٨) وهنا لا نجد جديد في النص إذ كما هو معلوم إن الموصل تشكل احد مدن الإقليم الرابع ولكن الجديد في النص هو ما نجده بعد ذلك بقول النويري : "وزعم بطليموس أن فيه مائة وثلاثين مدينة وأهله بين السمرة والبياض" ^(٧٩) فهو قد زودنا بمعلومة جديدة عن أعداد مدن الإقليم بالاعتماد على بطليموس وان كان النويري لم يصرح باسم كتاب بطليموس ، وهو في الحقيقة كتاب جغرافيا في المعمور ^(٨٠) وهو من أقدم المصادر الجغرافية التي قدمت أوصافا دقيقة لوصف الأقاليم السبعة ومنها بالطبع الإقليم الرابع والذي تقع ضمنه مدينة الموصل. أما النص الثاني وهو جغرافي أيضا فيتعلق بالكلام عن نهر الفرات والروافد التي يتشكل منها النهر وارتبط ذكر الموصل في هذا النص عند تعداد النويري للمدن والأقاليم التي يمر بها نهر دجلة من جهة ونهر الفرات من جهة أخرى ^(٨١) في حين أن النص الثالث تكلم عن نهر دجلة ومنابعه وروافده المكونة له ثم يذكر النويري المدن التي يمر فيها النهر ومنها مدينة الموصل ^(٨٢) أما النص الرابع والوحيد فيتعلق بالجانب الاجتماعي المرتبط بمدينة الموصل من خلال كلام النويري عن احد أعلام الموصل في الموسيقى والغناء وهو إبراهيم بن ماهان بن ميمون الموصللي واصله من بلاد فارس ووفاته ببغداد سنة ١٨٨ هـ / ٨٠٣ م وكانت له رحلة من الكوفة مر بعدها ببغداد ثم عرج منها إلى الموصل واستقر لبضع سنوات وعاد منها إلى الكوفة حتى أن أخواله قالوا له عند وصوله للكوفة " أهلا بالفتى الموصللي..." ^(٨٣) فغلب عليه هذا اللقب ثم ارتحل إلى الري واستقر فيها ومنها كانت وفاته ببغداد كما تقدم واشتهر من خلال رحلاته بحبه للغناء وولعه بالموسيقى وكان يغني باللسانين العربي والفارسي ^(٨٤).

وجاء النص الخامس مرتبطا بالحديث عن الجانب الديني المتعلق بالموصل من خلال قصة العبد الصالح جرجيس الذي يتردد الخبر عن قصته في كتب التاريخ والسير إذ ينقل لنا النويري القصة عن أبو إسحاق الثعالبي في كتابه الموسوم ب (يواقيت البيان في قصص القرآن)^(٨٥) بإسناد الرواية عن وهب بن منبه مفادها انه كان ملك بالموصل يقال له داديه^(٨٦) وكان يملك بلاد الشام أيضا وكان هذا الملك جبارا يعبد صنما يقال له افلون وكان جرجيس عبدا صالحا من أهل فلسطين قد أدرك بقايا حواربي النبي عيسى (عليه السلام) وكان تاجرا كثير المال يبذل معظمه في الصدقة وكان لا يأمن المشركين فخرج يريد الموصل ومعه مال أراد أن يهديه إلى هذا الملك حتى لا يجعل لأحد من الملوك عليه سلطانا دونه فلما مثل بين يدي الملك أمره الملك أن يسجد لصنمه لكنه أبى فأمر الملك أن يلقي جرجيس في النار لكنه بقدرة الله عزوجل لم يصبه شيء فالتقاء الملك ثلاث مرات في النار فلم يصبه منها شيء فأمن الملك بما يعبد جرجيس واشتهر أمره بين الناس فاهتدوا إلى جادة الصواب بعد أن كانوا يعبدون صنم الملك من دون الله جل وعلا^(٨٧).

أما النص السادس والأخير وهو ديني أيضا فيرتبط بذكر اليعاقبة وهي إحدى الطوائف المسيحية المشهورة إذ جاء النص الذي نقله النويري مبينا توزيع اليعاقبة في البلدان والمدن ومنها الموصل التي توجد لهم بها جالية كبيرة، قال النويري: "وأكثر اليعاقبة من النصارى بالعراق وتكريت والموصل والجزيرة ومصر... ومطران اليعاقبة بين الموصل وبغداد وتكريت..."^(٨٨) ويتبين من النص أن توزيع اليعاقبة يمتد إلى العديد من الأقاليم القريبة أو البعيدة عن الموصل كالجزيرة قربا ومصر بعدا على سبيل المثال لا الحصر، وعلى الرغم من عدم ذكر النويري لاسم مطران الموصل، إلا أن وجود المطران متنقلا بين بغداد والموصل يدل على أن الموصل آنئذ ربما كانت مقرا لمطرائية رئيسة، أو تابعة لمطرائية بغداد ن إذا استثنينا تكريت لكون مطرائيتها قديمة ولكنها في نص النويري كانت تابعة لمطرائية الموصل، ومما يؤيد كلام النويري، ما ذكره معاصره الرحالة الأوربي الشهير ماركوبولو من انتشار اليعاقبة بأرض الموصل والأقاليم والكور التابعة لها^(٨٩) فضلا عن الطوائف المسيحية الأخرى من الملكانية والنوبة والأرمن مما ذكره لنا النويري^(٩٠) فالظاهر إن أعدادهم قليلة قياسا باليعاقبة.

الخاتمة

يعد النويري احد أشهر المؤلفين الموسوعيين في الحضارة العربية الإسلامية وتكمن أهمية كتاباته في أنها جاءت متزامنة مع الهجمة المغولية على مدن المشرق العربي الإسلامي، ومنها الموصل بالطبع، ويعتبر كتابه (نهاية الأرب في فنون الأدب) من المصادر التي جمعت بين طيات نصوصها طابعا تاريخيا وأديبا وجغرافيا بصورة رئيسة مما جعل كتابه يكتسب قيمة كبيرة على صعيد معاصريه، فضلا عن

أهميته الكبيرة حالياً على الصعيدين التاريخي والأدبي ، إذ يعد قسمه التاريخي من الأقسام المتميزة في كتابه لأنه اعتمد على أكثر من خمسا وأربعين كتابا في إعداد مادة القسم التاريخي فهو قد عرفنا بالعديد من المصادر التي كنا نجهلها ولا نعلم عنها إلا النزر اليسير، وكانت لرحلات النويري أثرا كبيرا في تكوين شخصيته والتي نلاحظها من خلال معلوماته الجغرافية عن الأماكن والمواقع والمدن والبلدان خصوصا عن مصر وبلاد الشام.

وتنوعت نصوص النويري عن مدينة الموصل بين نصوص ذات طبع سياسي والتي جاءت كثيرة في كتابه مرتبطة بكون مدينة الموصل كانت الموطن والملاذ الآمن للخلفاء العباسيين وخصوصا الذين كانوا قد حكموا في العصر العباسي الثاني والذين امتاز حكمهم بضعف سيطرتهم المركزية على بغداد وأراضي دولة الخلافة العباسية وتحكم الأمراء الأتراك ومضايقاتهم المستمرة للخلفاء العباسيين بل ومطاردتهم أحيانا فكانت الموصل هي المدينة الحامية لهؤلاء الخلفاء في ظل حكم أسرة امتاز حكمها بالعدل والعناية بأهل الموصل والذود عن الخلفاء في وجه الطامعين بالخلافة وأراضيها وأملاكها وهي الأسرة الحمدانية ، والحال ذاته مع أسرة أخرى ساهمت في إعمار المدينة وتحسينها وإنشاء العمارات بها ومنها الجامع النوري وهي الدولة الاتابكية التي حكمت الموصل بين القرنين (٦ - ١٢/هـ - ١٣م).

أما الحديث عن الجانب الإداري فعلى الرغم من قلة النصوص التي جاءت عن الموصل إلا إنها كانت ذات أهمية في بيان ولاية المدينة وما كانوا يؤدونه من وظائف إدارية كجباية الأموال ، وتقلب هؤلاء الولاة وتغيرهم بين والي يتبع الدولة الحمدانية وآخر يتبع الأمراء الأتراك الذين كانوا يحكمون باسم الخلافة في بغداد ، فكانت الموصل تتبع هذا الوالي حيناً ، وذاك الوالي حيناً آخر.

في حين جاء الكلام عن الجانب العسكري الخاص بالموصل بنصوص كثيرة امتاز بعضها بأهميته في حين كان الكلام عن الموصل بصورة ثانوية في نصوص أخرى وارتبط الحديث فيها بالإجمال عن الحملات العسكرية التي كان يقوم بها الخلفاء العباسيين أو وزراءهم أو من ينوب عنهم من الولاة والعمال أو القادة العسكريين من اجل السيطرة عن المدينة أو من كان يطمع بها من الخوارج حكام الجزيرة. أما المبحث الأخير فكانت نصوصه موجزة وكان جلّها جغرافيا ارتبط بموقع الموصل من الإقليم الرابع فضلا عن مرور نهر دجلة فيها ، وبصورة اقل كان هنالك نصوص ذات طابع ديني ارتبطت بقصة العبد الصالح جرجيس وقدمه للموصل من اجل الاستقرار فيها ونشر رسالة التوحيد والتي يتبين من خلالها المركز الديني المهم الذي تمتعت به المدينة منذ القدم من وجود أماكن ذات قدسية ارتبطت بمبعث الأنبياء كالنبي يونس (عليه السلام) أو العباد الصالحين كجرجيس المار ذكره

أنفا، ومما يبين أهمية المدينة من هذا الجانب هو كونها مركزا رئيسا للديانة المسيحية ووجود العديد من الطوائف المسيحية كاليعاقة والأرمن فضلا عن وجود مقر للمطرانية المسيحية في الموصل.

هوامش البحث

(١) وردت عند الزركلي محمد وليس احمد. ينظر : خير الدين الزركلي، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، (ط ٣، بيروت، ١٩٦٩)، ج ١، ص ١٥٨. وينظر أيضا : زين الدين عمر بن الوردى، تاريخ ابن الوردى، (النجف، المطبعة الحيدرية، ١٩٦٩)، ج ٢، ص ٤٣٣ ؛ كمال الدين أبو الفضل الادفوي، الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد، (مصر، ١٩٢٤)، ص ٤٦ ؛ أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، (ط ١، بيروت - الرياض، مكتبة المعارف - مطبعة النصر، ١٩٦٦)، ج ١٤، ص ١٦٤ ؛ جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق : احمد يوسف نجاتي، (القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٦)، ج ١، ص ٣٦١ ؛ جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، دون تاريخ)، ج ٩، ص ٢٩٩ ؛ مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة وكاتب جلبي، كشف الظنون أسامي الكتب والفنون، تصحيح وطباعة وتعليق وحواشي : محمد شرف الدين يالتقايا ورفعت بيلكة الكليسي، (بيروت، منشورات مكتبة المثنى، دون تاريخ)، مج ٢، ص ١٩٨٥، جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، (القاهرة، ١٩٥٦)، ج ١، ص ٣٢٠ ؛ عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، تراجم مصنفى الكتب العربية، (بيروت، مكتبة المثنى - دار إحياء التراث العربي، دون تاريخ)، ج ١، ص ٣٠٦.

(٢) ينظر : ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ١٦٤.

(٣) ينظر : الزركلي، الأعلام، ج ١، ص ١٥٨.

(٤) نسبة إلى نويرة من قرى بني سويف بمصر. ينظر : الزركلي، الأعلام، ج ١، ص ١٥٨.

(٥) نسبة إلى سكنه في مدينة القاهرة. راجع : ابن الوردى، تاريخ ابن الوردى، ج ٢، ص ٤٣٣.

(٦) نظرا لانتمائه ودراسته للمذهب الشافعي نسبة للإمام محمد بن إدريس الشافعي، والكندي نسبة إلى قبيلة كندة العربية. ينظر : خليفة، كشف الظنون، مج ٢، ص ١٩٨٥ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٢٩٩ ؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ١، ص ٣٦١ ؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج ١، ص ٣٠٦.

(٧) نسبة إلى قوص وهي بلدة تقع في جنوب شرقي مصر، وتعتبر احد أشهر مدن القوافل في القرن ٧ و٦ هـ الهجريين / ١٢ - ١٣ الميلاديين ومنها كانت تعبر قوافل الحجاج والتجار إلى جدة على الساحل

- الشرقي للبحر الأحمر. ينظر : الادفوي، الطالع السعيد، ص ٤٦ ؛ محمد نزار حميد الدباغ، المشرق العربي الإسلامي من خلال رحلة ابن جبير الأحوال السياسية والعمرائية ٥٧٨ - ٥٨١ هـ / ١١٨٢ - ١١٨٥ م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠١، ص ٩٨ - ١٠١.
- (٨) ينظر : ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٢٩٩ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ١٦٤ ؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج ١، ص ٣٠٦.
- (٩) راجع : ينظر : الادفوي، الطالع السعيد، ص ٤٦.
- (١٠) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ١، ص ٣٦١ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ١٦٤.
- (١١) ينظر : كحالة، معجم المؤلفين، ج ١، ص ٣٠٦.
- (١٢) ينظر : شهاب الدين احمد النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مخطوطة دار الكتب المصرية (مصورة)، برقم ٥٤٩ معارف عامة، ج ٢٨، ورقة ١٢٨.
- (١٣) راجع : أمينة محمد جمال الدين، النويري وكتابه نهاية الأرب في فنون الأدب مصادرة الأدبية وآراؤه النقدية، (ط ١، القاهرة، دار ثابت، ١٩٨٤)، ص ٣٥.
- (١٤) جمال الدين، النويري وكتابه نهاية الأرب، ص ٣٥.
- (١٥) جمال الدين، النويري وكتابه نهاية الأرب، ص ٣٣.
- (١٦) ينظر : الطالع السعيد، ص ٤٦ - ٤٧.
- (١٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٢٩٩ ؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ١، ص ٣٦١.
- (١٨) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ١٦٤.
- (١٩) ينظر : النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٢٩٩. وينظر كذلك مادة شهاب الدين النويري في موسوعة المعرفة. على الموقع الالكتروني : www.marefa.org
- (٢٠) ينظر : البداية والنهاية، ج ١٤، ص ١٦٤.
- (٢١) شاکر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، (ط ١، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٠)، ج ٣، ص ١١٩.
- (٢٢) ينظر : جمال الدين، النويري وكتابه نهاية الأرب، ص ٤٨.
- (٢٣) مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج ٣، ص ١١٩.
- (٢٤) الزركلي، الأعلام، ج ١، ص ١٥٩.
- (٢٥) ينظر : الطالع السعيد، ص ٤٧.
- (٢٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ١٦٤.

- (٢٧) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٤٣٣؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ١، ص ٣٦١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٢٩٩.
- (٢٨) ينظر: كحالة، معجم المؤلفين، ج ١، ص ٣٠٦.
- (٢٩) ينظر: الزركلي، الأعلام، ج ١، ص ١٥٩.
- (٣٠) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ١، ص ٣٦١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٢٩٩.
- (٣١) ينظر: جمال الدين، النويري وكتابه نهاية الأرب، ص ٣٧-٤٨.
- (٣٢) ينظر: جمال الدين، النويري وكتابه نهاية الأرب، ص ٤٨-٤٩.
- (٣٣) ينظر: جمال الدين، النويري وكتابه نهاية الأرب، ص ٣٣-٧١.
- (٣٤) مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج ٣، ص ١١٩-١٢٠.
- (٣٥) مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج ٣، ص ١٢٠.
- (٣٦) ينظر: اغناطيوس يويليانوفتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله للعربية: صلاح الدين عثمان هاشم، مراجعة: أيغور بلبايف، (القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، الإدارة الثقافية - جامعة الدول العربية، ١٩٦١)، القسم الأول، ص ٤٠٩.
- (٣٧) ينظر: ابن تغري بردي، ج ١، ص ٣٦٢.
- (٣٨) ينظر: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ١٦٤.
- (٣٩) ينظر: الطالع السعيد، ص ٤٧.
- (٤٠) ينظر: تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٤٣٣.
- (٤١) ينظر: ج ٩، ص ٢٩٩.
- (٤٢) كشف الظنون، مج ٢، ص ١٩٨٥.
- (٤٣) ينظر: الأعلام، ج ١، ص ١٥٩.
- (٤٤) ينظر: مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج ٣، ص ١٢٠.
- (٤٥) ينظر: مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج ٣، ص ١٢٠-١٢٢. وينظر أيضا: موقع اتحاد الكتاب العرب - سوريا على الموقع الإلكتروني:
- www.awu-dam.org؛ وكذلك: موقع الموسوعة الحرة (ويكيبديا)، مادة شهاب الدين النويري على الموقع الإلكتروني: www.ar.wikipedia.com؛ المعارف العلمية في كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري، دراسة أعدها فؤاد حسن حسين أبو الهيجاء منشورة على الموقع الإلكتروني: www.dahsha.com؛ منهج النويري في كتابه نهاية الأرب في فنون الأدب: بحث ونقد منشورة على الموقع الإلكتروني: www.libraries.najah.edu

(٤٦) ينظر : الموسوعة الحرة (ويكايبديا)، مادة : مؤرخو مصر في العصور الوسطى ، على الموقع الالكتروني : www.ar.wikipedia.com ؛ ينظر : مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون ، ج ٣ ، ص ١٢٢ .

(٤٧) ينظر : مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون ج ٣ ، ص ١٢٢ .

(٤٨) ينظر : مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون ج ٣ ، ص ١٢٢ .

(٤٩) ينظر : الموقع الالكتروني : www.3lsooot.com ؛ شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : مفيد قميحة ، محمد قميحة ، يحيى الشامي ، يوسف الطويل ، علي محمد هاشم ، عبد المجيد ترحيني ، عماد علي حمزة ، نجيب مصطفى فواز ، حكمت كشلي فواز ، (ط ١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٥) .

(٥٠) ينظر : الادفوي ، الطالع السعيد ، ص ٤٧ إذ ذكر أن له نظم يسير ونثر لا بأس به ؛ وينظر أيضا : كحالة ، معجم المؤلفين ، ج ١ ، ص ٣٠٦ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج ١ ، ص ١٥٩ .

(٥١) ينظر : كشف الظنون ، مج ٢ ، ص ١٩٨٦ .

(٥٢) ينظر : النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٢ ، ص ٣٨ - ٣٩ .

(٥٣) النويري ، نهاية الأرب ، ج ١٩ ، ص ١٥١ .

(٥٤) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٢ ، ص ٩٠ .

(٥٥) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٢ ، ص ٢٣٩ - ٢٤١ .

(٥٦) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٨٣ - ٨٤ .

(٥٧) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٩٢ - ٩٣ .

(٥٨) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٩٥ .

(٥٩) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ١٦٣ .

(٦٠) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٥ ، ص ١٩٢ - ١٩٣ .

(٦١) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٦ ، ص ٦٩ .

(٦٢) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٦ ، ص ١٠٨ .

(٦٣) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٦ ، ص ١٧٠ .

(٦٤) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٧ ، ص ٨٤ .

(٦٥) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٧ ، ص ١١٥ - ١١٦ .

(٦٦) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٧ ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(٦٧) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٢ ، ص ١٦٣ .

(٦٨) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٥٢ - ٥٣ .

(٦٩) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٧٣ .

- (٧٠) النويري، نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٩٨.
- (٧١) النويري، نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ١٥٨.
- (٧٢) النويري، نهاية الأرب، ج ٢٥، ص ١٩٤ - ١٩٥. والدير الأعلى ويسمى دير مار ميخائيل ويقع بالربض الأعلى شمال الموصل قرب الباب العمادي.
- (٧٣) النويري، نهاية الأرب، ج ٢٥، ص ١٩٨.
- (٧٤) النويري، نهاية الأرب، ج ٢٦، ص ١٦٨.
- (٧٥) النويري، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٢٥٧ - ٢٥٨.
- (٧٦) الدباغ، المشرق العربي الإسلامي، ص ٨٥ - ٨٦.
- (٧٧) النويري، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٢٥٨.
- (٧٨) النويري، نهاية الأرب، ج ١، ص ١٩٩.
- (٧٩) النويري، نهاية الأرب، ج ١، ص ١٩٩.
- (٨٠) كلاوديوس بطليموس، الجغرافيا، تر: عربية أنجزت ٨٧٥ هـ / ١٤٦٥ م، إعادة طبع النشرة التصويرية لمخطوطة أيا صوفيا : ٢٦١٠، صدرها: فؤاد سزكين بالتعاون مع آخرين، (فرانكفورت، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، ١٩٨٧)، مقدمة الكتاب.
- (٨١) النويري، نهاية الأرب، ج ١، ص ٢٤٨.
- (٨٢) النويري، نهاية الأرب، ج ١، ص ٢٤٩.
- (٨٣) النويري، نهاية الأرب، ج ٤، ص ٢٩٩.
- (٨٤) النويري، نهاية الأرب، ج ٤، ص ٢٩٩.
- (٨٥) لم نجد بين المصادر التي وصلتنا ذكرا لهذا الكتاب ولكن يمكن أن يستدل من عنوان الكتاب انه شبيه في موضوعه بقصص الأنبياء لابن كثير وأخبار الأنبياء والصالحين في الجزء الأول من كتاب تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري.
- (٨٦) ورد عند عز الدين علي بن محمد بن الأثير باسم "دائزانه". ينظر: الكامل في التاريخ، (بيروت، دار صادر، ١٩٦٤)، ج ١، ص ٢٦٤.
- (٨٧) النويري، نهاية الأرب، ج ١٤، ص ٢٠٢. وهناك دراسة كتبها عبد اللطيف عبد الخالق، تحمل عنوان: فصل المقال في بيان حال جرجيس والأسباط ودانيل. اثبت فيها أن جرجيس الوارد ذكره في الرواية المتقدمة في هذا البحث هو نبي وليس عبد صالح كما ذكر ذلك النويري.
- (٨٨) النويري، نهاية الأرب، ج ١٥، ص ٢١٥ - ٢١٦.
- (٨٩) ماركوبولو، رحلات ماركوبولو، تحقيق: وليم مارسدن، ترجمة: عبد العزيز جاويد، (القاهرة، دار الينايع، ١٩٧٧)، ص ٣٥ - ٣٦.
- (٩٠) النويري، نهاية الأرب، ج ١٥، ص ٢١٦.